مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــــــــــــــــ رقم ISSN 2661- 7307
المجلد3. العدد 1. السنة 2021 ص 27- 44

اثر التطرف على التعايش السلمي الاسلامي –المسيحي في العراق
شواهد تاريخية

The Impact of Extremism on Islamic–Christian Peaceful Coexistence in Iraq: Historical Evidence

سؤدد كاظم مهدي

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية الجامعة المستنصرية

Sudadalubaidi@gmail.com

الملخص:

تعد مشكلة التطرف من القضايا الرئيسة التى تهتم بها الكثير من المجتمعات المعاصرة، لكونها قضية يومية عالمية تتداخل فيها الاسباب والمواقع تمتد الى التكوين الهيكلي للافكار والمذاهب والمثل التي يرتضيها المجتمع ، والفكر المتطرف عموما شانه شان اى نسق معرفي ظاهرة اجتماعية – ثقافية بالدرجة الاساس تتاثر وتؤثر في غيرها من ظواهر مرتبطة الى حد كبير بالعوامل التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية وغيرها من ظروف يتعرض لها المجتمع من داخل او خارج بلاده .

تحاول الدراسة تتبع وتوضيح المراحل التاريخية المختلفة التى مرت بها طبيعة ومسارات تلك العلاقة من اثر التطرف على التعايش بين المسلمين والمسيحيين فى العراق فى ظل انظمة سياسية متباينة توالت على حكم العراق الذي كان انموذجا للتسامح الدينى بين دول عربية واسلامية اخرى ،عندما حافظ جميع العراقيين على وجودهم بقدر ما يسمح به التجاور على بقعة جغرافية واحدة غير ان تقاربهم وتنافرهم فى احيان معينة لم يفض الى حد الالغاء او الهجرة القسرية كما حدث بين عامى 2003 وعام 2014.

لكلمات المفتاحية: التطرف؛ التعايش السلمي؛ الإسلام والمسيحية؛ العراق.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

summary

The problem of extremism is one of the main issues that concern many contemporary societies, as it is a daily global issue in which the causes and sites overlap extends to the structural formation of the ideas, doctrines and ideals that society satisfies. Other phenomena that are largely related to historical, political, religious, social, economic and other conditions that society is exposed to from inside or outside its country.

The study tries to trace and clarify the different historical stages through which the nature and paths of that relationship went through from the impact of extremism on coexistence between Muslims and Christians in Iraq in light of different political regimes that followed the rule of Iraq, which was a model for religious tolerance among other Arab and Islamic countries, when all Iraqis preserved their presence. As much as the neighborhood allows on one geographical area, except that their closeness and dissonance at certain times did not lead to the extent of cancellation or forced migration, as happened between 2003 and 2014.

Keywords: *Extremism; Peaceful Coexistence; Islam and Christianity; Iraq; Historical Evidence.*

المقدمة

تعد مشكلة التطرف من القضايا الرئيسة التى تهتم بها الكثير من المجتمعات المعاصرة ، لكونها قضية يومية عالمية تتداخل فيها الاسباب والمواقع تمتد الى التكوين الهيكلي للافكار والمذاهب والمثل التي يرتضيها المجتمع ، والفكر المتطرف عموما شانه شان اى نسق معرفي ظاهرة اجتماعية – ثقافية بالدرجة الاساس تتاثر وتؤثر في غيرها من ظواهر مرتبطة الى حد كبير بالعوامل التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من ظروف يتعرض لها المجتمع من داخل او خارج بلاده .

يتناول موضوع الدراسة جانبا مهما من تاريخ التعدد العرقي والديني في المجتمع العراقي ، التي قل ما يخلو منها مجتمع من المجتمعات لاهمية دورها في واقع الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية. بفعل ما تشكله من تنوع وما تضيفه من اثراء ، وعلى وفق ما تمثله من نسبة في نوع التركيبة الاجتماعية او

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

بقدر اثرها في واقعه. وهو الامر الذي يخالفه آخرون عندما تذهب رؤاهم الى عدّ ظاهرة التنوع بؤرة حيوية لتغذية عامل الفرقة والانفصام بين مكونات المجتمع ومن ثم ظهور العنف والتطرف بينهما غافلين في ذلك التوظيفات السياسية للتنوع من قبل السلطة التي تفضي الى سوء فهم لما تمثله الظاهرة من اضافة حضارية.

تحاول الدراسة تتبع المراحل التاريخية المختلفة التى مر بها موضوع التعصب والتسامح بين المسلمين والمسيحيين فى العراق ،مع توضيح طبيعة ومسارات تلك العلاقة فى ظل انظمة سياسية متباينة توالت على حكم العراق ،حتى بات انموذجا للتسامح الدينى بين دول عربية واسلامية اخرى ،عندما حافظ جميع العراقيين على وجودهم بقدر ما يسمح به التجاور على بقعة جغرافية واحدة ،غير ان تقاربهم وتنافرهم ،فى احيان معينة ،لم يفض الى حد الالغاء او الهجرة القسرية كما حدث بين عامى 2003و عام 2014 عندما قامت تنظيمات ارهابية تدعى ب(داعش) بطرد المسيحيين من ديارهم في الموصل وحرق ماثوراتهم وممتلكاتهم ومكتباتهم باسم تطبيق الشريعة الاسلامية واجبارهم على الرحيل من العراق .

اولا : التطرف الديني . . . المصطلح والمدلول .

1– في معنى التطرف .

ترجع كلمة التطرف في اللغة العربية المشتقة من (طرف – يتطرف – طرفا) في معظم المعاجم العربية الى " **الاخذ باحد الطرفين والميل لهما : اما الطرف الادنى او الاقصى** " بمعنى " **ابتعد الى الطرف الاخر** "كما ورد في الاية الكريمة " وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ" اي في أوله وآخره [1] .

في حين تشير الادبيات العربية والاسلامية المدونة ان هناك لفظ اكثر استخداما من المعنى فى كلمة التطرف ، وهى كلمة " **الغلو**" التى تعنى فى اللغة " **اخص من التطرف** " باعتباره مجاوزا الحد الطبيعى فى البعد عن التوسط والاعتدال ، سلبا او ايجابا اى الانحياز الى الطرف الاخر . [2]

[1] – معنى تطرف في معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/ ، ص 12 .

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

وفي اللغة الاجنبية نجد كلمة التطرف قد وردت فى عدة مصطلحات مثل extremismو fanatism و, integrism تعد معظم المعاجم الاجنبية ان مصطلح extremismهو الاقرب الى مصطلح التطرف ، بمعنى الوقوف في طرف الشئ ، والتطرف ايضا يعني الخروج عن القواعد والعرف والقيم والاطر الفكرية والدستورية التي حددها الشخص او الجماعة وارتضاها لتحديد هويته وسمح من خلالها بالحوار. [1]

هذا وقد انتشر مصطلح التطرف بين علماء اجتماع الغرب في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين ، عندما اطلق مصطلح "**التطرف** "او " **متطرف** "عادة من قبل الاخرين ، بدلا من مجموعة معينة يمكن ان تعتبر نفسها كذلك ، على سبيل المثال ليس هناك طائفة اسلامية او مسيحية تدعو نفسها بالمتطرفة ، واحيانا وعلى حد قول علماء الاجتماع يتم استعمال مصطلح التطرف لاغراض لاتمت للتطرف بصلة ، لاسباب سياسية او اجراءات حكومية معينة [2].

2- مفهوم التطرف .

يعد مفهوم التطرف من المفاهيم التى يصعب تحديدها او اطلاق تعريفات بشانها ، نظرا الى ما يشير اليه المعنى اللغوى للتطرف من تجاوز حد الاعتدال ، وبما ان حد الاعتدال نسبي يختلف من مجتمع الى اخر وفقا لنسق القيم السائدة في كل مجتمع من المجتمعات . فالاعتدال والتطرف مرهونان بالمتغيرات البيئه الحضارية والثقافية والدينية والسياسية التي يمر بها المجتمع . حاول بعض الباحثين التوصل الى تعريفات لمفهوم التطرف ، وكان منها ان فسر على انه اتخاذ الفرد موقفا متشددا يتسم بالقطيعة في استجابته للمواقف الاجتماعية التي تهمه والموجوده في بيئته التي يعيش فيها ، كما قدم اخرون تفسيرا اخر يستخدم في الاشارة الى الخروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والاساليب

[2] مفهوم التطرف فى الاسلام
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/Extremity/sec01.doc_cvt.htm

[1] المصدر نفسه .

[2] مامعنى التطرف وما هو المتطرف ، الخميس 21 يناير 2016
https://www.alittihad.ae/article/2999/2016

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

السلوكية الشائعة في المجتمع ، تعبيرا عنه بالعزلة والسلبية والانسحاب او تبني قيم ومعايير مختلفة ، قد يصل الدفاع عنها الى الاتجاه نحو العنف في شكل فردي او سلوك جماعي منظم يهدف احداث التغيير في المجتمع وفرض الراى بقوة على الاخرين . [1]

ويعرف التطرف كذلك بانه قد يتحول من مجرد فكرالى سلوك ظاهرى او عمل سياسي يلجا عادة الى استخدام العنف وسيلة الى تحقيق المبادئ التى يؤمن بها فكر المتطرف او اللجوء الى الارهاب النفسي او المادي او الفكري ضد كل ما يقف عقبه في طريق تحقيق تلك المبادئ والافكار التي ينادي بها هذا الفكر المتطرف [2] . ولذلك يرتبط التطرف بالعديد من المصطلحات مثل التعصب ، والجمود الفكري ، والانغلاق العقائد [3] .

ثانيا : التسامح في الديانتين المسيحية والاسلام .

يشترك المسلمون والمسيحيون في الكثير من المعتقدات منها التاكيد على ان هناك ربا واحدا، وانه هو وحده المستحق للعبادة ، وكذلك في الاعتقاد بان الله ارسل رسله للبشر ليبنوا لهم منهج الحياة الصحيح، وهناك بالتاكيد اختلافات بين الديانتين وتحديدا حول الطريقة التي تتجسد فيها حياة النبى (ع) وكذلك في تفاصيل ممارسات العبادة [4] .

وبما ان الديانتين المسيحية والاسلام من مشرع سماوي واحد فان لكل منهما اوجه تشابه بين القيم الرئيسة للمسيحية والقيم الرئيسة للاسلام. ومن تلك القيم المستخلصة هي: اصلاح ذات

---

[1] التعصب الدينى ويكبيديا الموسوعة الحره https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] التعصب الدينى ويكبيديا الموسوعة الحره https://ar.wikipediai .org/wik

[3] مفهوم التطرف فى الاسلام
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/Extremity/sec01.doc_cvt.htm

[4] دوغلاس ليونارد، القيم المشتركة بين المسيحية والاسلام. مجلة التفاهم، العدد / /،ا لسنة التاسعة، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية. سلطنة عمان، -- ، .. ص-- . .

البين،ورفض الصراعات , والحب لكل بني البشر وللانسانية ، ومساعدة الاخرين وخاصة الفقراء، والتواضع، وما الى ذلك من قيم انسانية مشتركة [1] .

كما ياتي الحوار بين الاديان السماوية شكل من اشكال القيم المشتركة او التفاعل بين الاديان ، عندما يعبر عنه برفض الغلو والوقوف امام العنف بين البيئات الاجتماعية المختلفة كوسيلة للتواصل او لتجنب الصراعات. وقد ورد العديد من النصوص فى الديانتين المذكورتين تدعو لهذا التوجه وبالشكل الاتي:

-– رفض الغلو والدعوة للتسامح في الديانة الاسلامية.

اوجد الاسلام كمنظومة انسانية وسياسية ودينية شاملة جملة من المبادئ التي تؤسس لحالة التسامح الاجتماعي والدينى ، وجوهر تلك المبادئ هو ان يعترف كل طرف بالاخر بحقه في التمسك بقناعاته، ومعتقداته وممارسة شعائرة الدينية والعمل على وفق اجتهاداته المذهبية [2] . لذلك تعد الوسطية احدى الخصائص العامة للاسلام ، وهى احدى المعالم الاساسية التي ميز الله بها امته عن غيرها . كما قال الله تعالى في كتابه الكريم " **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس سورة البقرة : اية /٠-"**

كما تقوم هذه المبادئ على حقيقة كونية ربانية وهي ان الاختلاف بين البشر من الحقائق في عملية تطوير المشاركة في الثروات الانسانية من قبل المجتمع ، التي قل ما يخلو منها مجتمع من المجتمعات، لاهمية دورها في واقع الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، بفعل ما تشكله من تنوع وما تضيفه من اثراء للمجتمع ، وعلى وفق ما تمثله من نسبة في نوع التركيبة الاجتماعية او بقدر اثرها في

[1] – المصدرنفسه ، ص .– / .

[2] د. عبد السلام بغدادي، السلم الوطني (المدني) دراسة اجتماعية سياسية ، بغداد ، .–٠٠ ، ص٤ /. لمزيد من التفاصيل ينظر. حسن الصفار ، التنوع والتعايش، بحث في تاصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، بيروت، ٥٥٥–.

واقعة وهو ما تشير ا الاية القرانية الكريمة: ((ولكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة)) [1] .

وبذلك تدعو النصوص القرانية الى الاعتدال وتحذر من التطرف ، التي يعبر عنها عز وجل مخاطبا اهل الكتاب في الاية الكريمة " **ياهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق** " النساء الاية –٣– وفي اية اخرى " **قل ياهل الكتاب لاتغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** ". وفي ايات اخرى جاءت في النهي عن الطغيان " **ولاتطغو فيه فيحل عليكم غضبي** " كما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم في النهي عن الغلو " **اقرءوا القران ولا تغلو فيه ، ولا تجفوا عنه** ، . . " (-٠)

وبالتالي فان الاساس الفكري و التطبيقي للاسلام لم يعرف مصطلح المغالاة او التطرف او التمييز داخل النظام الشمولي او داخل الدولة الاسلامية بغض النظر عن الدين او الجنس او الون او المعتقد او الانتماء، لان الاختلاف ليس هدفه والافضلية ليس للقومية او العرق او القبيلة وما الى ذلك، بل هو اختلاف غايته ان تكون الوسطية سببا للتبادل والتداخل والتعايش الذي يقوم عليه نظام الحياة .

كما بلغ المنظور الاسلامي للوسطية مبلغ قبول الاعتراف بالاخر كما هو من مبدا الاعتراف بالتعددية، عندما وردت نصوص قرانية في الاعتراف بالحقوق الدينية للاديان السماوية الاخرى والمسيحية فكان اول اقرار لحقوق الانسان من جهة واهم اقرار بالحقوق الدينية من جهة اخرى . هذا فضلا عن آيات قرآنية اخر تعبر عن مدى قرب الديانة المسيحية من الإسلام، رغم وجود نقاط الاختلاف في ممارسة العبادة التي وردها في آيات أخر ومن تلك الايات :

"لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قاوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون " [2]

[1] القران الكريم ، سورة ال عمران، الاية ١٤ ..

هذا علما ان كلمة التسامح لم ترد في القران الكريم بصورتها هذه لكن وردت العديد من الايات القرانية متضمنة لمعناها كمفردة المدارة، الرفق، السماحة، اليسر والتيسير، وهي مفردات تتقرب من المضمون المتداول لمصطلح التسامح وفي هذا الصدد احصى احد المفكرين السياسيين الدينيين في دراسة له اكثر من الف اية في القران الكريم تدعوا الى حرية الراي والفكر، والضمير [1] .

وعلى هذا الاساس فان هناك مجموعة من الاسس التي يقوم عليها التسامح في المنظور الاسلامي، التي تعد شرطا ضروريا تتوقف عليه فاعلية هذا المفهوم في المجتمع وتاهيله لاحتضان قيم التسامح ونبذ العنف وهي: حقوق المواطنة سيادة القانون، اعادة تشكيل قيم التفاضل، واخيرا اطلاق الحريات العامة [2] .

.–رفض الغلو والدعوة الى التسامح في الديانة المسيحية.

تمثل وصايا النبي عيسى(ع) في الانجيل البالغة(٠––) وصية المصدر الرئيس للقيم المسيحية،لما تحتوي على قضايا اساسية ومهمة للحفاظ على علاقات انسانية جيدة بين مختلف الاجناس والاعراق والديانات، ومن بين تلك القيم هي قيم التسامح التي يجدها بانها اصعب شيء في الطبيعية البشرية التي تميل الى الانتقام لاي ظلم او تعسف وقع عليها [3] .

ومن اجل نبذ العنف يرى النبي عيسى (ع) ضرورة ترسيخ جملة من المفاهيم الانسانية كالتساهل والمصالحة من اجل ابعاد حالة التوتر التي تصيب البشر في اغلب الاحيان. كما يشرح النبي عيسى (ع) مفهوم التسامح بشكل اكثر فيقول:–

---

[2] سورة المائدة ، الاية ٤٠

[1] عبد السلام بغدادي، المصدر السابق، ٠ /.

[2] علي رمضان الالوسي، الحوار الديني نظرة واقعية في الاصول والمشتركات للديانات الالهية، مجلة دراسات الاديان، العدد ، ٠، بيت الحكمة، –– ، ٠،ص ٢٠– ٣،.

[3] دوغلاس ليونارد، المصدر السابق ، ص ٣،––– ٣٠–.

" "لقد سمعتهم ما قد قيل من ان العين بالعين والسن بالسن، ولكنني اقوال لكم: لاتقاوموا الفاسق ولكن اذا صفعكم احد على الخد الايمن فاديروا له الخد الايسر،واذا كان احدهم يريد ان يحاكمكم ويستولى على معطفكم فاعطوه عباءتكم ايضا، واذا كان ثمة من يغصبكم على ان تمشوا ميلا واحدا فامشوا ايضا ميلا اخر، اعطو كل من يسالكم، ولا تمنعوا احدا يريد ان يقترض منكم ... [1].

ثالثا : التعايش السلمى الاسلامي – المسيحي فى العراق في ظل الحكم العثماني .

عند احتلال العثمانيون العراق في عام 1534 غدا المسيحيون جزءاً من رعايا الدولة العثمانية ، التي عاملتهم كطائفة دينية وفق نظام "الملة" المستنبطة احكامه من الشريعة الاسلامية ، الذي بموجبه منح البطريرك رئيس الطائفة المسيحية ، صلاحيات واسعة غير مقيدة في إدارة شؤون طائفته الدينية والادارية والقضائية [2].

وبناءاً على ذلك تشكلت وحدات ادارية مسيحية قامت على اساس ديني تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي ساعدت هذه الكيانات على تبسيط عمل الحكومة العثمانية الاداري بدرجة كبيرة من جهة ، وان ترسخ بدرجة تزيد عن المعتاد تعلق تلك الطوائف بدينها ولغتها وعاداتها من جهة اخرى [3] ، طالما ان هذه الامور تشكل الاساس الذي يوحدها ويجعل منها شعوباً قائمة بذاتها .

كما ساعدت هذه المجاميع شبه المستقلة ان يعيش المسيحيون نوعاً من العزلة ، وان تبتعد اكثر فاكثر عن رعايا الدولة العثمانية من المسلمين ، وهو ما انعكس جلياً في المشاركة الضعيفة إلى حد

[1] نقلا عن:-المصدر نفسه، ص/٣-. هناء محمد حسين،مفهوم التسامح في الاديان السماوية الكتاب التسامح في الديانات السماوية،ص٥٥.

[2] ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ، 1968 ، ص 18.

[3] الكسندر ادامو ف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، الجزء الاول ، ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي، البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، 1982، ص187.

كبير في مشاركة المسيحين في الاحداث التاريخية التي كانت تشهدها المدن العراقية [1]. الا ان في لحظات حرجة مرت بالعراق دللت ان التمازج والتجانس بين المسلمين والمسيحين لاتقف عند حدود بل ترتقي إلى الوحدة الكاملة في الموقف من القضايا الوطنية ، كما في مشاركة مسيحيو الموصل في الدفاع عن مدينتهم اثناء حصار نادر شاه العسكري عام 1743 ، ومكافأة لهذا التعاون قام حسين باشا الجليلي والي الموصل باعادة بناء عشرة كنائس وبناء اخرى تثميناً لدورهم الوطني [2] .

وهو ما كان يعطي دلالة على تجاوز النظرة الطائفية والدينية في المجتمع العراقي انذاك ، ليشكل نموذجاً للعلاقات والمواقف المتبادلة بين فئات السكان الاخرى ، وهو ماتشير اليه المصادر التاريخية بهذا الشان الى عدم حدوث اية فتنة بين المسلمين والمسيحين طيلة عهد حكم الدولة العثمانية في العراق ،كما يسجله الرحالة والمبشرون الاجانب اثناء مشاهداتهم حالة التسامح التي تتمتع بها الفئات الدينية غير االمسلمة في العراق ، فقد اورد دوبريه (Dupre) احد الاباء اليسوعين الفرنسيين المتشددين الذي زار بغداد عام 1685 بهذا الصدد قائلاً:-

"ان مسيحي بغداد يتمتعون بقسط وافر من
الحرية يحسد عليه المسيحيون واليهود
في ارجاء الامبراطورية العثمانية الاخرى" [3].

كما اضاف الرحالة فوك في كتابه "عربستان او بلاد الف ليلة وليلة"عندما زار بغداد قائلاً:-

"ان نصارى بغداد يمارسون عباداتهم بحرية فائقة
وهذا شيء تميزت به بغداد منذ القديم" [4].

---

[1] -سهيل قاشا ، مسيحيو العراق، بيروت، 2009، ص 287. سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، الجزء الاول مصر ، المطبعة السلفية،1923. ص289.

[2] نقلا عن :-. سهيل قاشا ، الموصل في مذكرات الرحالة الاجانب خلال الحكم العثماني، بيروت، دار الوراق للنشر المحدودة، 2009، ص 31-32

[3] نقلا عن. . سهيل قاشا ، مسيحيو العراق ، ص 286

[4] نقلا عن. روفائيل بابو اسحاق ، تاريخ نصارى العراق(100-2006 م) بيروت ، 2008 ، ص 39 .

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

ويعزى ذلك التقارب الحضاري بين المسلمين والمسيحين في العراق ، رغم اختلاف ديانتهما ، وبدرجة تزيد على ما كان في الولايات الاخرى في الدولة العثمانية ، هو ان العراقيين قد ورثوا ذلك التفاعل الحضاري من مراحل تاريخية سابقة ، بحكم نصوص المعايشة التي نص عليها الدين الاسلامي ، ولكون ان "بغداد كانت عالمية" [1] ،منذ ايام الدولة العباسية ،الى حد انها كانت لاتشجع التعصب في ظل المذاهب والقوميات التي تحتضنها [2] . كما كان الناس قد الفوا هذه الاقلية نظراً لطول اقامتهم وحسن سلوكهم.

كما ادى البعد الاجتماعي دوراً في عملية التقارب الاسلامي – المسيحي عندما عدّت ظاهرة الزواج من نساء الطائفة المسيحية شائعة في عهد الدولة العثمانية ، بدءا من السلطان عثمان الأول (1299-1326) واورخان (1326-1359) الذين بادروا بالزواج من نساء اهالي البلاد المفتوحة في اوربا من غير المسلمين [3] .

واضاف العامل الاقتصادي اطاراً اخر للتعايش الاسلامي – المسيحي ، عندما اشترك الطرفان في جميع الانشطة الاقتصادية في البلاد ، ولم تحدد مهنة دون اخرى على غيرهم ، فقد عمل المسيحيون الى جانب المسلمون في الزراعة وتربية المواشي والحياكة في القرى ، اما في المدن فانهم امتهنوا المهن الحرة كالصياغة والتجارة والحدادة وما الى ذلك [4] .

ولكن ذلك لايعني ان العثمانيين معفوين من معاملة رعايا الطائفة المسيحية معاملة تختلف عن معاملة المسلمين ، فمثلاً كانت تسمي المسلمين تبعة وغير المسلمين رعايا ، وكانت شهادة غير المسلم

[1] للمزيد ينظر:- رشيد الخيون ، الاديان والمذاهب في العراق ، منشورات دار الجمل ، المانيا ، 2003 ، ص 158-178.

[2] روفائيل بابو اسحق، المصدرالسابق ،ص129

[3] –المس بل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر خياط، بغداد، 1960، ص 36.

[4] –سيار كوكب جميل، زعماء وافندية: الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب، بيروت ، 2007، ص 57.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

على المسلم لاتقبل ، كما كانت تفرض ضريبة الجزية على تلك الطوائف مقابل الدفاع عنهم ، ولاتسمح لهم بالانخراط في الخدمة العسكرية[1] .

خامسا : ملامح من التعايش السلمي الاسلامي –المسيحي في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ٤-٥- - ، .٥- .

عند تاسيس الدول القومية فى المنطقة العربية بعد نهاية الحرب العالمية الاولى(٠-٥--٤-٥-) ، وقيام الدولة العراقية الحديثة في / . اب – .٥-. كان لعامل السياسة دورا مهما في اضطراب التعايش بين اهل جغرافية العراق الواحد، فقد شهدت هذه المرحلة بداية غياب تراث العمل المشترك بين فئات المجتمع المختلفة ، لاسباب تتعلق بقضايا قومية ودينية ادت وبفعل دوافع سياسية الى تكريس ثقافة قومية تحت مظلة القومية العربية الى ظهور معوقات التسامح بين مكونات العراق المختلفة [2] .

ولايبدو العراق البلد الوحيد الذي يختلف عن بقية دول المنطقة في تعدده وفي تاريخية اضطراباته فى تلك المرحلة ، بل العكس من ذلك كانت بغداد وبفعل السياسية ايضا عاملا مهما في التقارب بين المكونات الاجتماعية المختلفة ،عندما تمكن السياسيون في بغداد[في عام ، .٥- من الجمع بين المسلمين والمسيحيين في احد الاعياد المسيحية في محاولة لتحقيق الوحدة الوطنية بين سائر مكونات الشعب ، عندما قام وفد من المسلمين بجمع نخبة من الشباب المسلم الذين اخذوا يرمون الورد والماء المعطر على الموكب اثناء مروره ويهتفون:-

"عاش مجد سيدنا المسيح ... عاش اخواننا المسيحيون"

وقد اجاب المسيحييون بما فيهم القساوسه:

" عاش اخواننا المسامون . ..عاش العرب" .

[1] -وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق ، ط 2 ، بغداد ، 1985، ص 74.

[2] المصدر نفسه، ص 65.

ثم دخل المسلمون الى الكنيسة الى نهاية الموكب [1] ويفعل ذلك حافظ جميع العراقيين بمختلف اديانهم وقومايتهم وطوائفهم على وجودهم بقدر ما يسمح به التجاور ، غير ان تقاربهم وتنافرهم في احيان معينة، لم يفض الى حد الالغاء او الهجرة القسرية كما حدث بعد احداث عام / ، ، .، عندنا اصبحت الاقليات الدينية بشكل عام موضعا للتهمش والاهمال والاقتصاء عن مواقع القرار، وتعاني من اعمال العنف والتهديد والتهجير بشكل يمنعهم ويحول دون مساهمتهم في الحياة العامة في البلاد، او حتى ممارسة شعائرهم الدينية بحرية عامة.

سادسا – التعايش السلمي الاسلامي –المسيحي فى ظل الحكم الجمهورى فى العراق.

فى14تموز 1958سقطت الملكية وقام النظام الجمهورى الذى دخل العراق معه مرحلة جديدة من مراحل تطوره السياسي ، فعلى مدى عقد من الزمن 1958-1968 توالت على حكمه أربعة أنظمة سياسية متباينة في اوضاعها السياسية ، الا أنها كانت تتميز بسمة واحدة كونها تعكس صورة واضحة لحالة عدم الاستقرار السياسي لهذه الانظمة. وفي ظل هذه التحولات الساخنه التي حدثت بعد العام 1958 أخذ المسيحيون مواقف حيادية وفي أحيان اخرى مؤيدة لاي سلطة من اجل اتقاء شرورها . علما ان العديد من المسيحيين قد انخرط في احزاب عراقية متنوعة الاتجاهات، والاخر بادر في ادوار معينة في التاسيس، خاصة الحزب الشيوعي العراقي ، فقد كان مؤسس الحزب الشيوعي مسيحيا وهو يوسف سلمان(فهد) فضلا عن المسيحيين الاخرين وهم جميل توما، نوري روفائيل، كريكور اكوب بدرسيان، يوسف الصائغ وغيرهم [2] .

وعند استلام حزب البعث مقاليد الحكم في العراق 1968-2003، بدأ المجتمع العراقي يعاني تحولات مهمة ، خاصة عندما بدأ العزف شديدا على اسطوانتي القومية و التعصب الديني،عندما اتبع النظام سياسة للتعريب بلغت ذروتها فى السبعينبات من القرن العشرين ،حيث تم

[1] نقلا عن :.المس بل ،المصدر السابق ، ، ص51

[2] نقلا عن: وميض جمال عمر نظمي ، دراسة في تطور العراق السياسي، بغداد ، 1986،ص ص 99-100

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

تصنيف جميع المسيحين على انهم عرب ،كما كان لحروب الحكومة المركزية مع الاكراد [1] دورا فى تهجير العديد من القرى المسيحية فى المنطقة ،وهما ما اديا الى انكماش المشاركة الفعلية للمسيحيين بشكل كبير في الحياة العامة، على الرغم من التزام المسيحيين بالخدمة الالزامية خلال سنوات الحرب العراقية –الايرانية 1980-1988 ، وانخراط المئات من المسيحيين في حزب البعث العربي الاشتراكي. ونتيجة لذلك بدأت عمليات هجرة المسيحيين نحو اوروبا وامريكا تاخذ لها مديات واسعة وكبرى، لاسيما في تسعينيات القرن العشرين، بعد اندلاع حرب الخليج الثانية 1991، عندما افرغت احياء وقرى كاملة في شمال العراق من سكانها بتشجيع من بعض الجهات الدولية.[2]

سابعا – التطرف الديني في العراق بعد احداث 2003واستهداف المسيحيين .

تعرض المسيحيون في العراق بعد الاحتلال الامريكي وانفلات العنف بكل الاتجاهات ، الى تصعيد خطير استهدف ابناء هذا المكون الاصيل ، كبقية فئات الشعب ، عندما تعرض المسيحيون في محافظة نينوى بوجه خاص وبغداد والبصرة لتهديدات واعتداءات وتفجيرات قرب الكنائس والمحلات التجارية الخاصة بهم ، وهو ما ادى الى نزوح جماعي الى خارج الوطن والمناطق الامنة في كردستان ، ليتصاعد بعد تفجير كنيسة النجاة في بغداد عام 2011 ،ليبلغ عدد المسيحيين في العراق عموماً مابين (250-400) الف نسمة بعد ان كان قبل احداث 2003 نحو المليون نسمة ، حسب احصاءات الكنائس وبعض مراكز الابحاث [3] .

لايمكن فصل ماحدث لمسيحيو العراق بعد عام 2003 بعيداً عن الاحداث التي شهدها العالم بعد 11 ايلول 2001 ، عندما تعمد في احيان عديدة الاساءة الى القران الكريم والتهديد بحرقة امام شاشات التلفزيون بعد الحرب على افغانستان عام 2001 والعراق عام 2003 ، والهجوم على

[1] حنا بطاطو ، العراق ،الكتاب الثانى ،الحزب الشيوعى ،ترجمة عفيف الرزاز ،ط،2، بغداد ، 1996، ص 144

[2] سهيل قاشا ، مسيحيو العراق ،بيروت ، 2009 ، ص197

[3] – جريدة المدى، العدد 344، بغداد ، السنة التاسعة، كانون الاول 2011، ص5

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

الزي الاسلامي ، فاصبحت اللحية رمزاً للارهاب الاسلامي ، وحجاب المرأة ينسب اليه التطرف ، ولايسمح به في دول اوربية عديدة دخول المحجبات الجامعات والمؤسسات الحكومية والاهلية.[1]

" **ان عملية طرد المسيحين من العراق** " [2] على حد قول احد رؤساء الجمعيات المسيحية ، جاءت مع مشروع يحمل عناوين الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان والتنمية الاقتصادية ، وهي العناوين التي شكلت بذاتها حاجة ماسة للبلاد ، الا ان اهداف هذا المشروع الاستعماري والقوى المنخرطة في حركته ، قامت بمحاولة اثارة فتن طائفية ومذهبية وعرقية بهدف تبديد قوة المجتمعات والدول على امتداد المساحة الجغرافية السياسية للمشروع ، ومنها على سبيل المثال مصر التي تقع على نفس المنظار ، والتي تحاول جاهدة الانتصار لشعارات الثورة والعبور بعملية انتاج نظامها السياسي بالوسائل الديمقراطية [3] .

ثامنا – صور من استمرارية التعايش السلمي الاسلامي – المسيحي في العراق .

عرف العراقيون وعلى مر العصور السلوك الانساني المتمدن للتعايش بينهم ، وانه السبيل الوحيد لوحدة البشر امام ظاهرة التنوع في تكوينهم الديني والقومي، وهو ما تسجله بعض الصور الاجتماعية المعروفة في المناطق التي تحتوي تنوعا سكانيا ،والواردة في" كتاب الاديان والمذاهب في العراق " وعلى النحو الاتي:-

" ان هذا التداخل والتعايش عبر الدهور جعل مسلمين يقيمون مجلس تابين لمسيحي في المسجد، وصابئة يزورون ضريح الامام علي(ع) وينذرون له النذور، ومرضعة مسلمة ترضع طفلا صابئيا، وظل على دينه، ومسيحية تندب

[1] الموسوعة الحرة ،مسيحيو العرب ،ص5 . https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] جريدة المدى، العدد 344، السنة التاسعة، كانون الاول 2011.

[3] نقلا عن : هجرة المسحيين الى خارج العراق هجرة مستمرة للمسيحيين من العراق .. و"داعش ليس السبب الوحيد"22 نوفمبر 2020 https://www.irfaasawtak.com/minorities/2020/11/22

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

مريم العذراء والسيد المسيح والنبي محمد(ص) وعلي بن ابي طالب (ع) في لحظة سقوط صاروخ خلال الحرب العراقية الايرانية"[1] ,

ثم يضيف رشيد خيون مؤلف الكتاب قائلا :-

" وتلوذ عائلات مسيحية بصحن الامام الكاظم(ع) ايام الحرب العصيبة لعلمها انها منطقة محرمة على الصواريخ والطائرات الايرانية، وصابئي ينافس المسلمين ويشارك باكثر مما يشارك به اغنيائهم بما يجمع لقارى المنبر الحسيني في يوم عشرة عاشوراء، ومسلمون لايفطرون في ايام رمضان الا بعد ان يزودوا جارهم الصابئي من مائدتهم، واول الداخلين عليهم يوم العيد هو وعياله، ...."[2]

ان الصور الاجتماعية السابقة ليست خيالات ادبية ، فهي معروفة من باب حقوق الجيرة كقيمة اخلاقية واعتبارية وعرفية دارجة عند العراقيين، والتي لم تبتعد كثيرا عن واقع المجتمع العراقي ،وفي اصعب الظروف بعد احداث عام 2003 ، فقد استمر المسيحيون يعيشون بين الاحياء المسلمة في بغداد وبقية المدن ، وهي ابرز ظاهرة للتعايش الاجتماعي والديني في العراق.

- استمر المسيحيون والمسلمون معا بالتوجه الى المزارات الدينية لكليهما، فمسلم يذهب الى الكنيسة تذرعا لله تعالى لقضاء حوائجه ، ومسيحية تزور اضرحة أل بيت النبي محمد(ص) لطلب الشفاء من الله تعالى.[3]
- استمر المسلمون العراقيون يشاركون اخوانهم المسيحيين فى احتفالات اعياد الميلاد وراس السنة الميلادية بشراء اشجار اعياد الميلاد ،واقامة بعض الاحتفالات في منازلهم تيمنا باحتفال المسيحيين ، واطلاق العيارات النارية في الفضاء. [4]

[1] مؤتمر المسلمون والمسيحيون والتحولات ،بيروت ، 20يناير2012.
https://www.nabihberry.com2012

[2] نقلا عن . رشبد خيون ، المصدر السابق ، ص 84

[3] المصدر نفسه، ص 84-85.

[4] نقلا عن : المصدر نفسه ، ص 87.

- شارك المسيحيون في بعض الطقوس والشعائر الدينية للمسلمين من اجل توظيف هذه الطقوس في تحقيق السلم الاجتماعي والتقريب بين الاديان ، فقد مثل المسيحيون موكب عزاءفى احياء ذكرى استشهاد سبط الرسول الاكرم (ص) الحسين(ع)، سمي بموكب وهب بن حباب ،الذي استشهد مع والديه في معركة الطف، كما تقوم قناة اشور الفضائية المسيحية بتغطية كاملة لمراسيم ذكرى الاستشهاد واربعينية الامام الحسين(ع).[1]
- رفض رواد مقهى بطنابه ،وهو مقهى شعبي صغير يقع في مدينة برتيلا، الهجرة الى خارج العراق تمسكا بتربة بلادهم.
- دعوة الاب سهيل قاشا الى ابراز صورة التسامح الذي عاش في ظله المسيحيون على مر العصور في العراق في سلسلة من كتبه الصادرة بعد عام 2006، واهدائه احد كتبه الى العراق قائلا:

" العراق نور لاينطفئ
ومعين لاينضب
وحضارة لاتندثر
الى جميع ابناء العراق العريق
ارفع هذه الصفحات رمزا لوحدة الامة العلاقية
شعبا وارضا وهدفا
قوة وعزة وكرامة"

[1] نقلا عن : سهيل قاشا ، مسيحيو العراق، ص 23.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل

خاتمة

- نحو تعزيز التعايش السلمي في العراق بعد احداث 2003 ولأجل ارساء وتعزيز اليات التعايش التي تحقق مصلحة مشتركة بين الاطراف على المستوى العام ، وترسيخ ثقافة قبول الاخر على المستويات الاجتماعية ، والدينية، والسياسية في ظل ظروف محلية واقليمية ودولية معقدة، نرى ضرورة ادراج بعض النقاط التي تتطلب الاتى :
- توظيف وسائل الاعلام ومفاهيم التعليم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحقيق رؤية واقعية وحيادية لفكر وعادات الاخر.
- اعتناء الدولة ومؤسساتها باثار هذه الاقليات ومراقدها الدينية المقدسة ، بوصفها جزءا من تراث العراق وشعبه.
- تضمين مواد في المناهج الدراسية لاطلاع الطلاب على تراث مواطنيهم ، بوصفه تراثا لكل العراق ووجوب احترامه.
- بث وسائل الاعلام العراقية لبرامج عن هذه الاقليات والتعريف بتراثها الديني والعقائدي.
- تخصيص برامج دينية اسلامية توضح مكانة المسيحيين في الدين الاسلامي بدءا من القران الكريم ومرورا بمعاملة النبي الاكرم(ص) لهم. وانتهاءا بالتاكيد على مجموعة الافكار الانسانية في تحقيق التعايش والحوار مع فئات التنوع الاخرى.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v3i1.4795 *المؤلف المرسل